

163627 - ضابط ما يعد استهزة بالدين من التصرفات والأقوال

السؤال

كيف نفرق بين تصرفات الاستهزة بالإسلام وبين ما كان خطأً؟ وماذا لو سمع الشخص أو رأى شيئاً من هذا القبيل، فلم يستطع مقاومة ذلك فابتسم أو ضحك، فما الحكم؟ ففي بعض الأحيان تحدث أمامي أو تدور في ذهني بعض الأشياء المتعلقة بالدين تجعلني أضحك، ولكنني أتنبه فيما بعد أنه ما كان ينبغي لي أن أضحك.. فهل يعتبر ضحكي من قبيل الاستهزة بالإسلام؟

الإجابة المفصلة

أولاً:

الاستهزة بالدين من كبار الإثم والعدوان على حدود الله وحرماته ، ومن أودية الكفر التي يتredi فيها كثير من الجهل وسفلة الناس ، وهم لا يعلمون . قال الله تعالى : (يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ فُلَانُ اسْتَهْزَئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتُهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُضَ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنُثُمْ تَسْتَهِزِّنُونَ * لَا تَعْنَتِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ تَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعْذِبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) التوبة/64-66 .

قال الإمام ابن حزم الظاهري :

"صَحَّ بِالْتَّصْرِيفِ أَنَّ كُلَّ مَنْ اسْتَهْزَأَ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَوْ بِإِمْلَاكِهِ، أَوْ بِإِنْسَانِهِ، أَوْ بِآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ بِفِرِيْضَةِ مِنَ الْقَرَائِبِ الَّذِينَ بَعْدَ بُلُوغِ الْحِجَّةِ إِلَيْهِ، فَهُوَ كَافِرٌ". انتهى من "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (3/142).

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ :

"من استهزأ بالله ، أو بكتابه ، أو برسوله ، أو بدينه : كفر ، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزة ، إجماعاً". انتهى من "تيسير العزيز الحميد" ص.617.

ثانياً :

الاستهزة بالدين يشمل كل قول أو فعل ، يدل على الطعن في الدين ، والتنقص منه ، والاستخفاف به .

قال أبو حامد الغزالى :

"وَمَعْنَى السُّخْرِيَّةِ : الْإِسْتِهَانَةُ ، وَالتَّحْقِيرُ ، وَالنَّتْبِيَّةُ عَلَى الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِضِ ، عَلَى وَجْهِ يُضْحَكِهِ مِنْهُ ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بِالْمُحَاكَاةِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْفَعْلِ ، وَقَدْ يَكُونُ بِالْإِشَارَةِ وَالْإِيمَاءِ". انتهى من "إحياء علوم الدين" (3/131).

فكل قول أو فعل يدل - بحسب ما يتعارف عليه الناس ويفهمونه من لغتهم - على الانتفاuchi أو الاستخفاف بالله ورسوله ، أو القرآن والسنّة ، أو شيء من شعائر هذا الدين ، فهو من الاستهزة المخرج من الملة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "الصارم المسلول" (541) :

" وإذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع : فالمرجع فيه إلى عرف الناس ؛ فما كان في العرف سبا للنبي فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة والعلماء ، وما لا فلا " انتهى .

ثالثا :

إذا لم يدل القول أو الفعل على الاستخفاف والانتقاد والتهكم ، فلا يكون من الاستهزاء المخرج من الملة . وقد يكون الاستهزاء معصية لا كفراً ، لأن يستهزئ شخص مسلم لذاته ، فإن استهزأ به لتدينه وهيئته الموافقة للسنة ، فإن في ذلك خطراً عظيماً ، وقد يكون في بعض الأحيان كفراً ، والعياذ بالله . وينظر جواب السؤال (153656) ، (22170) .

رابعاً :

الواجب على المسلم إذا سمع أو رأى شيئاً من الاستهزاء بالدين أن ينكر على قائله وفاعله إنكاراً شديداً ، فإن لم يستجب له لزمه مغادرة المكان الذي هو فيه ، قال تعالى : (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنِ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفِّرُ بِهَا وَيُسْتَهْزِئُ بِهَا ، فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) . وأما التبسم والضحك عند سماع هذا الكلام ، فيجعل صاحبه شريكاً للقاتل في الإثم إن كان عن رضاً وقبول ، كما قال تعالى : (إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ) ، وإن لم يكن عن رضا وقبول ، فهو معصية كبيرة تدل على عدم تمكן تعظيم الله وشعائره من قلبه . والواجب على المسلم أن يعظم شعائر دين الله وآيات الله وإجلالها وتفخيمها ، كما قال تعالى : (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْأَنْوَابِ) .

قال العلامة السعدي :

" أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله ، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة " . انتهى من " تيسير الكريم الرحمن " ص 342 . وينظر جواب السؤال (145302) والله أعلم .